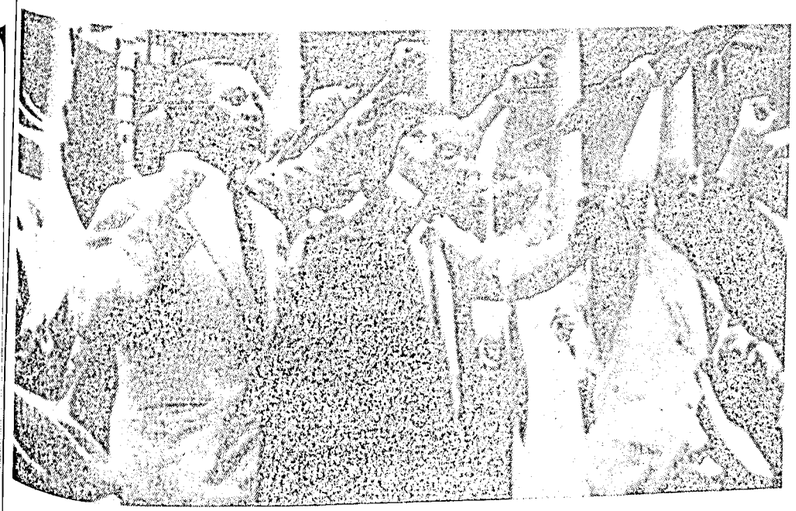

جنوب افريقيا وحلف الاطلسي:

شبكة عسكرية متصلة مباشرة بواشنطن ولندن

ان الوثائق التي كشفت العلاقة الرسميه عمليا ، بين حلف شمال الاطلسي وبين جنوب افريقيا العنصرية ، واذيعت في الاسبوع الماضي ، لم تجيء كمفاجاة ، بل كانت تاكيدا حاسما لما كان يعتقد لوقت طويل ، على ضوء العلاقه العضوية بين نظام الحكم العنصري الابيض شبه الامبريالي في القارة الافريقية، وبين المصالح العليا الاستراتيجية للامبريالية العالمية ، وحيث يلعب عنصريو جنوب افريقيا دورا مشابها للدور الذي يلعبه الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ، في خدمة هذه المصالح .

■■■

لقد بينت الوثائق بان جنوب افريقيا قد زودت بمعدات خاصة بحلف شمال الاطلسي ، بنظام الشيفرة ، وبمواد الاتصالات العسكرية المتقدمة من عدد من البلدان الاعضاء في الحلف ، بما فيها بريطانيا ، الولايات المتحدة ، المانيا الغربية ، فرنسا ، هولندة والدانمارك . وقد اصبحت النسخ المصورة لهذه الوثائق في حوزة الحركة البريطانية المعادية لنظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، وفي حوزة « اللجنة الخاصة ضد التمييز العنصري، التابعة للامم المتحدة » .

وتثبت هذه الوثائق بان دائرة التزويدات التابعة للقوات المسلحة الالمانية الغربية ، مشتركة الى حد بعيد في هذه الصفقة ، وربما كانت هي التي زودت جنوب افريقيا بنظام الشيفرة الخاص بحلف الاطلسي. وهناك ايضا نسخا مصورة لاوراق خاصة بالشيفرة، وبقطع الغيار الخاصة المصنوعة في بلدان اطاسية ، التي زودت بها حكومة جنوب افريقيا . وتستخدم هذه المعدات في « مشروع ادفوكات » ، وهو مشروع من اجل بناء نظام كومبيوتر في سيلفرمابن ، التي تقع على مقربة من قاعدة سيمونستاون البحرية ، وفي محطات فرعية اخرى في جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) . وهذا المشروع يجمع ويستعرض المعلومات حول الحركة البحرية والجوية ، في المنطقة الممتدة من منطقة القطب الجنوبي الى شمال افريقيا ومن اميركا الجنوبية الى بنغلادش شرقا .

ومن المتوقع ان تثير هذه الوثائق غضب وحرج تلك البلدان التي تزعم اشمئزازها من التمييز العنصري الابيض في جنوب افريقيا ، وتتبجح بسياستها « المعلنة » القاضية بالمقاطعة الطوعية ، لشحن السلاح والمعدات العسكرية الى جنوب افريقيا . اذ ان هذه الوثائق تكشف زيف مزاعمها وسياسة الخداع بين ما هو معلن وما هو قائم فعلا .

والمعروف بان حدود معاهدة حلف شمال الاطلسي تتوقف عند مدار السرطان ، وبان التعاون بين الحلف وبين جنوب افريقيا مستبعد في العلن على الاقل ، من بعض الحلفاء الاطلسيين . ولكن الوثائق تؤكد بان هذا لم يشكل ابدا ، مانعا حقيقيا للقيادة الاطلسية المشتركة في اقامة هذا التعاون الطبيعي بين التحالف الامبريالي العسكري وبين جنوب افريقيا كقاعدة امبريالية امامية في تلك المنطقة .

ان « مشروع ادفوكات » السري والذي لم يعد سرا ، يسند دورا جديدا هاما ، لجنوب افريقيا العنصرية في الاستراتيجية الدفاعية الامبريالية . فهو يوسع دور جنوب افريقيا العسكري في جنوب الاطلسي ، والمحيط الهندي ، ويستهدف تعزيز تحالف عسكري اوثق بينها وبين القوى الامبريالية الرئيسية. وقد وردت تقارير لم تؤكد رسميا ، ذلك في بعض النشرات العسكرية ، تقول بان «مشروع ادفوكات» متصل مباشرة بلندن وواشنطن .

ورغم محاولة بريتوريا التستر بالزعم بان المشروع يستهدف تطوير وصناعة انظمة الاتصالات ، فان وثائق الشيفرة الاطلسية تبين ان عدة اجهزة من بلدان اطلسية قد اندمجت في « مشروع ادفوكات » وان اشتراكها ووزارة الدفاع الالمانية يعود الى سنة ١٩٧٠ . وهناك مراسلات بين هذه الوثائق تشير هذه العلاقة على الصعيد الرسمي .

ومن المعروف بان جنوب افريقيا تسعى لتقوية موقعها العسكري للسيطرة على طريق رأس الرجاء الصالح . وكان وزير دفاعها قد ابلغ البرلمان في شهر ايلول الماضي ، و « بسرور كبير » عن التطور الذي تحقق في هذا المجال ، خلال الاشهر الستة السابقة ، دون الخوض في تفاصيل قال انه من الغباء الافصاح عنها ، ومطالبا الصحافة الجنوب افريقية بان تمتنع عن اية تكهنات تتعلق بالمسالة .

ان الحرص على اخفاء هذه العلاقة بين الحلف العسكري الغربي الاستعماري وبين جنوب افريقيا العنصرية مفهوم . وانكشاف الوثائق التي تفضح هذا الرابط لن تردع الحلف الاطلسي عن الجهود الجارية لربط جنوب افريقيا بالنظام العسكري الامبريالي . ولكنها تؤكد بصورة قاطعة ، ليس النوايا العدوانية الامبريالية في المنطقة ، بل الدور الذي يجعل من اي نضال فعال ضد الاستعمار خاصة لتلك الاطراف الافريقية التي تتهافت على والعنصرية في افريقيا نضالا ضد الامبريالية بالضرورة ، تحقيق الانفراج و « التسوية السلمية » بين ثورة التحرر الاستقلالية الافريقية وبين العنصريين البيض في افريقيا الجنوبية .

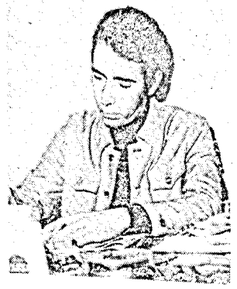

■ الحلقة الثانية ■

في هذه الحلقة يتحدث « محمد الاسعد » عن ظاهره مهمة في تراجيديا غسان هي ظاهرة العطاء ، بمعنى ان غسان استطاع ان يصل الى اعماق المأساة النابضة بالحب للارض — للمعاول — للشمس فكان الانسان ، وكان الايصال مولعا بالعشق اذ لا تعقيد في الخوف — ولا حياة في الموت — ولكن غسان استطاع ان يقلب الخوف — والموت الى شيء يبحث في اعماقنا عن بقية مكانت الثورة ....

غسان كنفاني والتراجيديا الفلسطينية

محمد الأسعد

لقد قلنا : كان على الفلسطيني ان يحمل عبء الوجود العربي ، وها هو يبدأ بالتوهج في صورة الفدائي.

واذا كانت قصة « العروس » قد حملت هذه البشارة معها ، فهي لم تخرج بذلك عما يختلج في الوجدان الفلسطيني منذ ان كان افتقاره للسلاح اعنف تعبير عن العجز واللافعالية . فصورة السلاح ارتبطت بالوجدان الفلسطيني ارتباطا عميقا ، فلم تعد فلسطين تعني الا نشيدا للسلاح .

وفي اعتقادنا ان تبني اسلوب الكفاح المسلح الذي انخرط فيه « غسان » واعطاه الكثير لم يكن خروجا على تقاليد الشعب الفلسطيني ، بل هو التعبير الامين عن عظمة الماضي بكل شموخه . هذا الماضي الذي تعرض للاهانة . وللاذلال ، واعاد له الحاضر صفاءه .

واذا كان للمنفى وانعكاساته في الوجدان مستوياته المتنوعة ، فان لهذه الحيوية الجديدة ايضا مستوياتها المتنوعة ، الا ان الصورة الاكثر شمولا والتي تجمع تجارب هذه المرحلة هي ان القتال اعاد الفلسطيني الى نفسه ، او بكلمة اخرى اعاده الى الوطن الذي استيقظ مرة اخرى في الاعماق .

ان اهداف الكاتب في هذه المرحلة تتجاوز العمل الفني ، وان تلا هذا العمل مواكبا لمسار الحياة . فوضع الفكر في التطبيق وتحويله الى شخوص وادوات يقتضي تنظيما وعملا يوميا بين الجماهير . ويقتضي ادوات اخرى : المقال السياسي.. الكتاب السياسي .. الخ .. اي يقتضي عملا دائبا من اجل تحقيق العمل الجماعي . ولئن كان الفلسطيني قد عاد الى نفسه والى وطنه ، فان هذه العودة الجديدة — الانتماء — قد وجدت تعبيرها في العمل الجماعي . فالثورة ليست عمل افراد منعزلين بقدر ما هي بناء مجتمع جديد. وهنا ايضا نجد « غسان » الفنان يجد علاقة من نوع جديد بين المثقف والقضية . ان هذه المشكلة « المستعصية » تحل هنا بدون ضجيج ، ليس لان المرحلة تتطلب ذلك ، بل لان الوصول باعتباراتنا الى نهايتها المنطقية يقتضي ذلك. فالثقافة تفهم دائما ضمن اطار تاريخي ، وضمن مشكلة الانسان في هذا الاطار .

وقد وجدت الاجيال العربية نفسها امام اختيار وحيد منذ ان تردت حركة النهضة الاولى على يد الطبقات الاقطاعية ، والطبقات الطفيلية التي انشاها الانتداب . وهذا الاختيار هو صنع ثقافة جديدة في اطار مشكلة التخلف الرهيبة التي يعاني منها الوطن العربي .

ان صنع الثقافة لا يعني بالضرورة البداية من الصفر — فالتحول التاريخي لا يقبل هذه القفزات في الهواء — وانما هو تمكين الانسان في هذه المرحلة من صنع مصيره . وذلك بوضع يده على الوسائل العملية الكفيلة بذلك . وهذا يقتضي منه فهما كاملا لوضعيته التاريخية .

الثقافة بهذا المفهوم تعني الانجاز الفعلي وحل المشكلات الاجتماعية والسياسية ، ولا تعني فن صياغة الشعارات والاهداف ، وهي قبل كل شيء وضع الانسان امام مسؤولياته في الواقع العيني الملموس .

ان هذه المقدمات البسيطة لموضوع الثقافة تجعلنا نؤكد على ان التفريق المصطنع بين النظرية والممارسة ليس الا سذاجة تؤكد ان اصحابها لم يصلوا بعد الى فهم الدور الكبير الذي يلعبه الفكر في الحياة.

ولكن .. اذا كان صحيحا ان رحلة الجحيم قد شارفت نهايتها ، وخرج الفلسطيني من جحيمه الخاص ليتطور في ظلال الثورة ، فهل نعتبر ان هذا الدفء الذي توفره العلاقات التي عادت بالعالم دليلا على انتهاء التجربة ؟ في الحقيقة لا نستطيع ان نقول ذلك ابدا . وان التحول البارز الذي يمكن الاشارة اليه بهذا الرمز البسيط يكتشف الصغير ان مفتاح البيت يشبه القلس . آن له شكله . هذا التحول في علاقة الفلسطيني بالاشياء يمكن فهمه ايضا ضمن اطار الانتماء الى الزمن . وتحول الزمن الى بعد من ابعاد الفعالية . ان حالة الذهول الذي زمنا تقطع الطريق على اية حركة في اي اتجاه . وسجنت كل البواعث الوجودية ضمن الفردوس المفقود . فكيف انتقل هذا الفردوس الى رفيق للحاضر يلهمه ، ويشكل له شيئا جديدا ؟ هذا هو الخط الذي سارت فيه تجربة غسان الحياتية مجسدة في اعماله الفنية . فاذا اصبح الصمت مع الماضي ، فمعنى ذلك ان علاقة ما الذي لا يستحق الا اللعنة . ومعنى ذلك ان علاقة ما قيمت مع المستقبل فلم يعد هو ذلك العماء الرهيب . وتكاد شخصية فضل الفلاح الذي طلع الى الجبل في ثورة ١٩٣٦ ، وشخصية عبد المولى الخطيب على منبر الهزيمة ، ان تصبحا اضافة جديدة الى تجربة المعرفة . وبهذه اللقطات الواقعية العميد للانسان الذي كان يشعر بالمهانة والندم الشعور الكرامة وبالعظمة . فالماضي البطولي يستمر الان ان توقف تياره في زحمة اختلاط كل شيء . وبعد التضحت الصورة الواقعية لما حدث لها الفلسطيني الرحلة من الزمن ، فالفأس ، هذا السلاح الاليف لصاحب الارض يضع نفسه جسرا بين الماضي والحاضر . الماضي يطالب ويلح على تجسده، فالاب اهل القرية كلهم يعرفون ان المفتاح يشبه الفأس، الصغير ان يكتشف هذا ايضا . انها شعلة المجيدة التي تعود للتوقد . وهذه هي التجربة المجيدة التي تشكل ملامح النضال .